

## الرافعي في الحجاز

## مصطفى الرافعي

للأستاذ محمد حسين زيدان

ليست هذه الكلمة رثاء أرى به الفقيد ولكنها واحدة وقت  
لنا به فأحب إخواني نشرها ليعلم الناس مكان الفقيد  
من نفس شباب الإسلام والعرب في كل قطر ومصر

كنا أربعة نسمر حول مائدة فاتحى اثنان منا جانباً  
يتذاكران اللغة الانكليزية وجلس آخر يقرأ — يقرأ ضحى  
الإسلام — أما أنا فكنت أكتب موضوعاً لجريدة (المدينة)  
وجاء صديق يحمل (الرسالة) ولم تكن قرأنا هذا العدد الذي  
يحمل، إذ تأخر وصوله فقلت: الرسالة؟ الرسالة! هاتها. فتصفحت  
الافتتاحية وخطوتها إلى كلمة الأستاذ أحمد أمين. فالأستاذ

وإنما كان هناك آلهة كثيرون، بعضهم يمثل في الشمس  
وما تسكبه على الكون من نعمة الاضاءة والدفء والانعاش،  
والبعض الآخر يمثل في تنين هائل أو وحش مخيف. وكان  
عدد أولئك الآلهة يصل أحياناً إلى ثلاثين أو ثلاثة وثلاثين  
إلهاً متساوين حيناً، ولهم رئيس أعلى حيناً آخر، ولكن هذا  
الرئيس لم يكن هو خالق الالكوان، لأن هؤلاء القوم كانوا  
دهريين أو طبيعيين، بل لأن سداجتهم كانت قد بلغت حداً  
حال بينهم وبين الرجوع بمقولهم إلى بدء الخلق، فاقصروا  
على التفكير فيما هو بين أيديهم فحسب ولم يتعدوه إلا إلى ماضٍ  
قريب فرضوا فيه وجود عالم أحط منهم مرتبة وأقل مدنية.  
وبناء على هذا كان عمل الآلهة أو الآلهة عندهم مقصوراً على  
التصرف في الموجود ولا يتناول الإيجاد بأي حال.

وكانوا يعتقدون أن هناك عالماً آخر وراء هذا العالم يدعى  
عالم الأموات، وأن ملك هذا العالم هو أول ملك من  
أجدادهم وهو: ياما، بن فيفا-فان، كما كانوا يعتقدون  
أن الخيرين الذين يموتون وهم حائزون رضى الآلهة لا تكاد  
أرواحهم تغادر أجسامهم حتى يمنحهم أولئك الآلهة معرفة  
الغيب والقدرة على التصرف في الكون وعلى تدبير الأقدار  
خيرها وشرها.

(ينج)

محمد غطرب

المازني، ثم إنى قرأت للرافعي، أمراء للبيع، فلما وصلت إلى  
منتصف المقال ألقىت الرسالة وقلت لأصدقائي: هلبوا إلى  
— هيا بنا تؤمن ساعة — أقرأ لكم الرافعي، فقالوا: أقرأ.  
أقرأ. فأخذت أقرأ وهم سامعون ساهمون. يسمعون البيان  
بيان الرافعي. ويعجبون بالبطولة. بطولة الشيخ بن عبد السلام.  
ويهمزون بالقوة الغاشمة والامارة الكاذبة والجهل الفاضح.  
وما اتينا من المقال حتى ملأ الإعجاب أفتدتنا. وهذا حالنا كلما  
قرأنا لأبي السامى ومن تصاريف القدر وأعاجيبه أنه لم  
تمض لحظة حتى وافانا البريد فطالع أحدنا (أم القرى) وفيها  
الخبر الفاجع المحزون خبر وفاة الفقيد، فنزل علينا كالصاعقة  
ولقد كدنا لانصدق، قبل لحظة كان الرجل حياً يسمعتنا يأنه  
وإيمانه ويطالنا بعجيب من البطولة والصراحة والصرامة في  
الحق وتأييد الحق. والآن هو ميت نسمعه أنين الحزين وبكاء  
المتألم، وطفق أحدنا يبكي ويقول: لكم العزاء في الرافعي فقد  
— حرمانا نحن الناشئة أديبا كبيراً تتعلم منه البيان والأدب العالى  
والنبيل والفضيلة، حرمانا هذا في زمن اتجه أديباؤه إلى ارضاء  
الساسة والعامة، والعامة هم عصا الساسة يسوقون بها هؤلاء  
الأدباء، وإن كان هؤلاء الساسة لا يتحركون إلا بما يرضى  
العامة لأنهم يستمدون سلطتهم على مقدرات الأمة وشؤونها  
من هذه العصا العوجاء، الرأى العام، وما هو الرأى العام  
يرحم الله قاسم أمين، — قلت: حسبك فقد آلمتنا وأبكتنا  
قال: أكتب حادثنا وحديثنا في جريدة (المدينة) ليعرف  
هذا وإنى أعرفك لا تستطيع أن تكتب رائياً فالرثاء شعر  
ولست بشاعر، وإنما أنا أبكى الفقيد بدموعى وفؤادى  
المحترق. قلت: أعرفك بكاء وإنى لعاجز. ولكن اسمع وما أردت  
— أن أكون دونه — اسمع لقد انهدمت الدعامة الرابعة من دعائم  
(الرسالة) بموت الرافعي. وإنما نرجو أن تعود، فهى اليوم  
تقوم على ثلاث دعائم، قال: لم أفهم فأفصح، قلت: يا هذا  
ألا ترى أن دعائم الرسالة أربع:

العاطفة والشعر، فالعقل والعلم، فالتجربة والتهديب،  
فالايمان والفضيلة: رجل العاطفة والشعر الزيات يكتب  
بعاطفته من قلبه وحنينه وأتنيه ليلهب عواطف الأمة ويوقظ  
شعورها ويوقد حماسها فتتجه نحو المثل الأعلى. يفعل هذا

## أدب الرافعي أدب ممتاز

للسيد كمال الحريري

المرحوم فقيد الأدب مصطفى صادق الرافعي في وصف  
الجمال وصوره والتعبير عن آثاره في النفس والروح  
طريقة ممتازة هو فيها طراز وحده بين أدباء العربية  
في جميع عصورها . فانت من وصفه الجمال الإنساني أمام  
لوحات بيانية سحرية ، تكاد الحياة والعاطفة والروح تنطق  
مجتمعة من خلالها . وهو في الوصف الروحي العاطفي للجمال  
الإنساني المادي ، صاحب مدرسة سدت في فراغ الأدب  
ثغرة ما أغنت استعاراته وتشابيهه عن سدها شيئاً . ولا غرو  
فإن روح التعبير عن الجمال التي تسالت إلى أنامل فيدياس  
الإغريقي فأنشأت له من الصخر الأصم هياكل وتماثيل بشرية  
في عاطفتها وحيويتها وروحها ، قد هبطت بعد أجيال على قلم  
الرافعي ، فأوحت إليه تحفه الأربع<sup>(١)</sup> في فلسفة الجمال والحب .  
وأناني هذا الحوار الذي دار بيني وبين صديق الرسام إنما أعرض  
لونا جديداً خيوياً من اصباغ وصف الجمال البشري ، للأستاذ  
الرافعي وحده فضل استكشافه وفرضه على الأدب ، ولوددت  
أن الأدباء غمسوا فيه ريشاتهم حين رسمهم لوحات الجمال  
الإنساني . ولا بأس أن أحكم في تذوق هذا اللون أو النفور  
منه إلى أدباء الرسالة ليقولوا فيه كلمتهم

لي صديق فنان في الرسم ، ريشته لسانه ، وترجمانه ألوانه ،  
أسمته جملة لي في وصف أبي نواس وهي : لقد كان أبو نواس  
في مدائق الكرخ فراشة شاعرة ترتع بين أغصان القدود  
وأوراد الحدود . ثم وقفت عند هذه الجملة منتظراً أن تروقه  
هذه الاستعارة . ولكنه ما زاد على أن قال : صعب على  
يا صديقي أن أتصور كيف يتجرد صاحبك أبو نواس من

(١) لفتي بها كتب رسائل الأحزان والسحاب الأحمر وأوراق الورد  
وحديث القمر

لأن فيه طبيعة الشاعر الملهم المتألم المتأمل .

ورجل العقل والعلم أحمد أمين يكتب بعقله وعلمه ليثير  
عقل الأمة وليزيد في علمها من علمها وتراثها فتسير في طريق  
العقل النير والعلم المحمص ، يفعل هذا لأن فيه طبيعة القاضي  
النزيه والعالم المخلص ... ورجل التربية والتجربة المازني  
يكتب من تجاربه ودراسه للنفس والأمة ليهذب من أخلاق  
الشباب ، فيسير على ضوء التجربة من حوادث الماضي . يفعل  
هذا لأن فيه طبيعة الأستاذ المربي

ورجل الإيمان والفضيلة الرافعي يكتب بإيمانه وعقيدته  
ليدافع عن إيمان الأمة ويثبت إيمان الأمة وعقيدتها ، فيسير  
بنور الإيمان ثابتة العقيدة طاهرة المبادئ جريئة في الحق  
صريحة في الباطل ، يفعل هذا لأن فيه طبيعة المسجد وشيوخ  
المسجد ، ولأن فيه أثر أمن ورائحة الأسرة المجيدة والبيت الرفيع  
من الفاروق رضي الله عنه إلى عبد الغني وعبد القادر وأمين  
وعبد الرحمن ومصطفى صادق . أسمعت ووعيت ؟ قال : سمعت  
وزد . قلت : وإن هذا الارتباط بين كتاب الرسالة بدون تعمل  
وتعمد من أعاجيب نهضة الأمة ويقظة الأمة ورغبة الأمة  
وتوفيق الرسالة ، فهي قد لفظت وتركت غير هؤلاء الذين  
شدوا عن هذه المبادئ وضمت من سار على نهجها وخطتها .  
تركت غير هؤلاء عن غير قصد ولا عمد ، وإن زعموا أنهم  
تركوها حاسبين أنها محتاجة اليهم مع أنها في غنى عنهم ، فليسوا  
هم أصحاب رسالة وإن أيدها بموقفهم السلبي ومناقضتهم ، فإن  
جلال الحق لا يظهر إلا بمزاحمة الباطل ، أسمعت ووعيت ؟ قال :  
هذا صحيح فردني . قلت : ماذا أزيدك ؟ وأخذتني عبرة وطفقت  
أتشدد بيت الرافعي الذي يرثي به أحمد تيمور باشا ، وما أحقه  
أن يرثي به .

تأني المصائب كال تقليد في نسق أما مصيبتنا هذي فتخترع  
وبعد فهذه حادثة واقعة وحديث جرى مازدت في ذلك  
شيئاً . ويرحم الله أبا السامى فقد ناضل عن الأدب وجدد في  
البيان . أنه خلاق المعاني ومالك الالفاظ يتلاعب بها كيف  
شاء . ناضل عن الأدب حتى كاد يستقر ، ودافع عن الدين والقرآن  
والنبي صلى الله عليه وسلم دفاعاً يحز به الله عليه أحسن الجزاء  
أنه ولي الرحمة والغفران .

عن جريدة ( المدينة المنورة )

محمد حسين زبرانه